

الأقسام في القرآن

(54) يمكن إنكارها للتصريح بها في غير واحد من الآيات، قال تعالى: (فَكَذِبُوا إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِرَسُولٍ مِّنْهُمْ لِيُذِخُوا مِمَّنْ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) (2) وقال عز اسمه: (وَوَضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ) . (3) والشهادة فيها مطلقة، وظاهر الجميع - على إطلاقها - هو الشهادة على أعمال الأُمة، وعلى تبليغ الرسل كما يومى إليه، قوله تعالى: (فَلَا تَسْأَلْنَهُنَّ أَشْيَائَ يُسْأَلُنَّ عَنْهُنَّ أُمُورٌ مُّرْسَلِينَ) . (4) وظرف الشهادة وإن كان هو الآخرة لكن الشهداء يتحملوها في الدنيا. قال سبحانه: (وَكَأُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمُوتُمْ فِيهِمْ) فَلَا مَّأْتَوْفَّيْتَنِي كُنْتُمْ أَزْنَةً الرِّقَابِ عَلَيْهِمْ وَأَنْزَلْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) . (5) وعلى ضوء ذلك يثار هذا السؤال في الذهن، وهو: إنَّ الشهادة من الحضور ولم يكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ظاهراً مع جميع الأُمة بل كان بمعزل عنهم إلا شيئاً لا يذكر، فكيف يشهد وهو لم يحضر الواقعة أي أفعال أُمَّته قاطبة؟ وهناك إشكال آخر أكثر غموضاً وهو: إنَّ الشهادة على ظاهري الأعمال ليست مفيدة يوم القيامة، بل الشهادة على باطن الأعمال من كون الصلاة لله أو للرياء _____ 1 - النساء: 41، 2 - النحل: 84، 3 - الزمر: 69، 4 - الأعراف: 6، 5 - المائدة: 117.